التعليم عند الإباضية ببلاد المغرب

-مدينة تيهرت أنموذجا-

مريم رزاق بعرة*

الملخص

لقد أضحت تيهرت من المراكز الثقافية الكبري في بلاد المغرب بسبب السياسة التي انتهجها حكامها ، ونظرا لسياسة التسامح التي انتهجتها الدولة مع أتباع المذاهب الأخرى، كما شكلت

مشاركة العلماء الفعالة في الحركة العلمية بتيهرت أداة لتشجيع الناس علي طلب العلم ، وهذا ما كان أساسا لحضارة لم يشهد لها المغرب الأوسط مثيل فقد تمكنت الدولة الرستمية من فرض سلطانها علي القبائل المضطربة في هذه المنطقة دون أن يكون لها سند العصبية القبلية وإنما تمكنت من ذلك بفضل المكانة الأدبية والعلمية التي كان يتمتع بها أئمة البيت الرستمي من عناية بالعلوم وحرص علي إقامة العدل واحترام لرأي الأغلبية

KUZEY AFRİKA'DA İBADİ EĞİTİMİ

-Tahert Örneği-

ÖZ

Tahert, yönetcilerinin uyguladığı mezhepsel hoşgörü siyaseti sayesinde Kuzey Afrika'da önemli bir kültür merkezi olmuş, kentteki ilmi harekete ulemaların etkin katkısı halkı ilimle iştigale teşvik etmiştir. Bu da Kuzey Afrika'nın orta kesiminde daha önce görülmemiş bir medeniyetin oluşmasını sağlamıştır. Rüstemi Devleti bölgede dağınık halde bulunan kabileleri etnik ya da mezhepsel fark gözetmeksizin yönetimi altında toplamış, sonuçta, Rüstemi yönetcilerin ilmi ve edebi derinliği sayesinde ilme önem verilmiş, adaleti sağlamaya özen gösterilmiş, kamuoyu önemsenmiştir.

Anahtar Kelimeler: Ibadiye, Eğitim, Tahert

THE EDUCATION IN THE IBADHI NORTH AFRICA

-The Tahert Case-

ABSTRACT

Tahert has been a cultural center of the North Africa during the Rustemi reign due to the policy of tolerance carried out by the administrators'. This tolerance towards different sects and the intensive contribution of Ulama to the scientific studies have encouraged people to be make effort on learning and getting educated widely. The Rustemi State has united the clans from different sects in the region. Along with scientific and literary depth of Rustemi household, education, justice and pluralistic tendency have been quite prominent during this reign.

Keywords: Ibadhiya, Education, Tahert

Makalenin Dergiye Ulaştığı Tarih: 18 Aralık 2014; Hakem ve Yayın Kurulu Değerlendirmesinden Geçen Makalenin Yayına Kabul Edildiği Tarih: 18 Ocak 2015

* جامعة الوادي – الجزائر rezzag.meriem@gmail.com

(1) عرف بداية القرن2هـ في بلاد المغرب أحداث غاية في التداخل والتشابك، إذ تفاقمت مشاكل البلاد من الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وشكل هذا الوضع أرضية ملائمة لانتشار الأفكار الخارجية ، إذ وجد الإباضية طريقهم إلى بلاد المغرب

(1) خلال هذه الفترة و كان انتشار الإباضية في المغرب العربي نتيجة للمضايقات التي تلقوها من الخلافة العربية في العصر الاموي والعباسي، فاستطاع المذهب الإباضي أن يجد له موطئ قدم وتحقيق طموحاته بإقامة الإمامة في المغرب العربي بواسطة الدولة الرستمية التي أصبحت الراعية للمذهب الإباضي، واستطاع حملة هذا المذهب (*) من فتح مدارس في المغرب العربي لتدريس القرآن الكريم ونشر الدين الإسلامي واللغة العربية[1] والإشكال الذي يطرح هنا هو: ما أهمية التعليم لدي الإباضية في المغرب الأوسط ؟وما هي أهم العلوم التي اشتهرت في تيهرت ؟ وكيف كان تعليمها وتعلمها وما تأثير ذلك علي المذاهب المختلفة في تيهرت الرستمية ؟

لم توفق الإباضية في تحقيق هدفها بإعلان الامامة إلا في زمن عبد الرحمن بن رستم سنة 160 هـ

حيث اتخذ من منطقة تيهرت مركزا للدولة الناشئة ، لقد كان عبد الرحمن بن رستم عند حسن ظن الإباضية فيه فقد كان حسن السيرة عادلا حصل على اعتراف اباضية المغرب والمشرق بالحصول على الامامة لتوفر عدة شروط فيه يراها الإباضية ضرورية لاختيار الامام منها لفضله وكونه من حمله العلم وكونه عامل أبي الخطاب على افريقية ولأنه لا قبيلة له تمنعه اذا تغير عن طريق العدل[2].

كانت الامامة الإباضية في المغرب تتلقى دعم معنوي ومالي من البصرة ساعد ها ذلك على تحقيق الأمن لتيهرت وأصبح يخافها كل من يحيط بها من القبائل، هذه القوة ساعدت عبد الرحمن بن رستم من تحقيق استقلال المذهب الإباضي في تيهرت

لم تكن مدينة تيهرت بسيطة وعادية بل كانت قاعدة لدولة ، إذ أن قوة الإباضية في تأسيس مدينة تيهرت أمر يقبل دون منازعة أو شك ، خصوصا بعد مقتل الإمام أبي الخطاب سنة 144ه/760م إذ أضحت بحاجة ماسة إلي إيجاد كيان ذاتي ، جغرافي وإداري.[3] إن عاصمة العلم والثقافة والفكر أشعت بنورها علي كل الشمال الإفريقي ، وأنجبت علماء وأدباء وشعراء وفقهاء في المذهب

1 (*) لقد ساعد في انتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب ، وإيجاد قدم له حملة العلم الخمسة والذين اختيروا كممثلين عن الجهات التي انتشر فيها المذهب للتعلم في البصرة علي يد أبي عبيدة وهم الآتية أسمائهم : عبد الرحمن بن رستم بن بهران بن كسري ، أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح بن عبد بن حرملة المعافري، انظم إليهم من البصرة ، وإسماعيل بن درار الغدامسي ، عاصم السدراتي ، أبو داوود القبلي النفزاوي ، ينظر: أبو زكرياء يحي بن أبي بكر(ت:47ه/1078م) : سير الأئمة وأخبارهم ، تح/عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية ، تونس ، 1985 ، ص58 وقد ذكر عمر با بأن حملة العلم الخمسة يعتبرون بمثابة الأوكسجين للإباضية والشحنة التي غيرت مسارها ونقلتها من ثقافة الثورة إلي زمن الدولة، ينظر: صالح بن الحاج محمد الصالح با (عمر با): دراسة في الفكر الإباضي ، ص30.
خالد أحمد صالح : الإباضية تعاليمهم وانتشارهم في المغرب العربي ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ، العدد الأول ، 2011 ، ص123.

2 عبد الحميد سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، المعارف للنشر، الإسكندرية ، ج2 ، ص290.

3 يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر(الجزائر القديمة والوسيطة) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ج1 ، 2007، ص116

الإباضي تركوا بصماتهم علي كل جوانب الفكر الفقهي والفلسفي والجدل وعلم الكلام وفي النظريات الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية والأخلاقية إذ لا يزال تأثيرها العلمي والفكري إلي يومنا هذا في مواطن عديدة من المغرب الأوسط[4].

وأهم السياسات العامة التي وضعتها الدولة الرستمية هي اهتمامها بالجانب التعليمي ووضع سياسات مرسومة للتعليم والنهوض بمستواه ، حيث وفرت المعلم والكتاب وأماكن الدراسة ، وأنشأت المدارس المتنقلة وإرسال البعثات للبصرة في سبيل توفير علماء أكفاء ، وإلي مراكز العلم الكبري في جميع أنحاء العالم الإسلامي أيضا ، وأهم ما يتلاقاه الدارس هو تعلم المذهب الإباضي ، فقد اعتمدوا علي أخذه في بادي الأمر عن الأئمة الأربعة ، ثم علي تلاميذهم من بعدهم[5].

دور الأئمة الرستميين :

إن عودة الأئمة الأربعة إلي بلاد المغرب بعد تلقيهم للعلم في البصرة علي يد الداعية الإباضي الأكبر أبي عبيدة مسلم بن أبي عكرمة ، إذ بدأوا في نشر المذهب الإباضي وذلك في حلقاتهم التي انتشرت في جهات المغرب الأدنى وإفريقية[6] ،كما لقنوا أتباعهم علم الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وآراء الفرق وعلوم اللغة والفلك والرياضيات[7] ذلك أن البيت الرستمي كان بيت علم في مختلف الفنون[8]، كما يظهر دور الأئمة الإباضيين في توجيه وتشجيع جميع الانشطة في دولتهم وهذا أمر بديهي إذا علمنا أن الأئمة كانوا من العلماء البارزين الذين لهم نصيب وافر من العلم[9]

إن اهتمام البيت الرستمي بالعلم خصوصا العلوم الدينية ونشرها بين الناس كان داعيا لأن تحضي الحياة الفكرية باهتمام كبير، فقد أولي الأئمة اهتمامهم بالفقه الإباضي وآرائه الكلامية، وهذا ما ترجم في رئاسة الدولة الرستمية إذ يشرط في إمامة ورئاسة الدولة العلم.[10]

إن إدراك الأئمة الرستميين بأن الحفاظ علي الشريعة الإسلامية وترسيخ المبادئ الإباضية في أذهان الناس أقوي من السيطرة عليهم بالقوة ، ولكونهم من العلماء فقد ساهموا في نشر العلم والمعرفة بين مختلف طبقات المجتمع التيهرتي[11] ، وبذلك عرفوا أن فائدة العلم هي العمل به فقد عقدوا المجالس والحلقات العلمية بالمساجد وغيرها ولقنوا الناس فنون العلم الشرعي والعلوم

4 صالح فركوس : تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلي غاية الاستقلال ، دار العلوم للنشر والتوزيع ،
5 أحمد إلياس : الإباضية في المغرب العربي، ص25.
6 المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
7 محمد عيسي الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160-296ه)، ط3 ، دار القلم ، الكويت ، 1987 ،ص ص235-236.
8 أحمد بن سعيد عبد الواحد الشماخي : كتاب السير ، تح : أحمد بن سعود الشيباني ، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1992، ج1 ، ص68.
9 بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية (160-296ه/777-909م) دراسات عن الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985 ، ص264.
10 محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية ، ج3 ، 1963 ، ص372.
11 ابن الذيب عيسي: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص33.

الأخري ، وهذا ما يثبته الشماخي في روايته علي أحد الأئمة الرستميين إذ يقول :»معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر.»[12]

لقد أضحت تيهرت من المراكز الثقافية الكبري في بلاد المغرب بسبب السياسة التي انتهجها حكامها ، ونظرا لسياسة التسامح التي انتهجتها الدولة مع أتباع المذاهب الأخرى، كما شكلت

مشاركة العلماء الفعالة في الحركة العلمية بتيهرت أداة لتشجيع الناس علي طلب العلم ، وهذا ما كان أساسا لحضارة لم يشهد لها المغرب الأوسط مثيل فقد تمكنت الدولة الرستمية من فرض سلطانها علي القبائل المضطربة في هذه المنطقة دون أن يكون لها سند العصبية القبلية وإنما تمكنت من ذلك بفضل المكانة الأدبية والعلمية التي كان يتمتع بها أئمة البيت الرستمي من عناية بالعلوم وحرص علي إقامة العدل واحترام لرأي الأغلبية.[13]

ولنا ان نورد بعض الأمثلة لاهتمام الأئمة الرستميين بالعلم ودورهم في الرقي بالدولة :

1/ **الإمام عبد الرحمان بن رستم** (160-171ه/776-787م):

يعتبر من كبار العلماء كانت له حلقة في مسجد تيهرت، وهو المؤسس الأول للدولة الرستمية، ألف كتابا في تفسير القرآن.[14]

2/ **الإمام عبد الوهاب الإبن**(171-208ه/787-823م):

خليفة عبد الرحمان بن رستم في الإمامة وإبنه ، عرف بحبه للعلم إذ نشأ في بيت علم علي يد والده، وبعض من العلماء أمثال داوود القبلي وغيره فكان له دور كبير في تنشيط حركة العلم بتيهرت[15]، ويتفق معظم المؤرخون على ان عبد الوهاب عرف بحبه للعلم وإطلاعه الواسع بالمسائل الشرعية إذ صنف كتابا سماه «نوازل نفوسة «،كما أنه أصبح مرجعا للعلماء إذ يقول عنه الشماخي:»أن عادة عبد الوهاب إذا فرغ من صلاة العشاء أخذ كتابا ينظر فيه وكان ذلك حتى في بعض أوقات النهار فلما ختمها قال (الحمد لله) إذ وجدت جميع ما فيها محفوظ عندي ولم أستفد منها إلا مسألتين ولو سألت عنها لأجبت فيها قياسا»[16]

3/**الإمام أفلح بن عبد الوهاب** (208-258ه/823-871م):

ثالث الأئمة الرستميين، كان من أكبر الأئمة في زمانه كما كان فقيها وشاعرا ، تخرج من مدرسته جمع من العلماء منهم ابنه أبو اليقظان ، زاوج بين إمامة العلم وإمامة الدولة فقد وصفه أبو زكرياء بقوله :»كان ميمون نقية فسكن الله به البلاد ووقي به العباد.»[17]

12 الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص167.
13 أبو زكرياء يحي بن أبي بكر : كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تح : إسماعيل العربي ، ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص19.
14 -عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ، 2000 ، ص157.
15 -تاديوسليفيتسكي : المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، تح : ريما جرار وماهر جرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2000 ، ص40.
16 -الشماخي : المصدر السابق ، ج1 ، ص133.
17 -أبو زكريا : المصدر السابق ، ص128.

حافظ أفلح علي الحكم بالكتاب والسنة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلي غير ذلك من الشعائر الإسلامية.

4/الإمام أبي بكر (258-261ه/874-894م):

تحدث عنه ابن الصغير في مؤلفه أخبار الأئمة الرستميين على أنه نبغ في الآداب والأشعار وعلم التاريخ كما عرفت هذه العلوم ذروتها ونشاطها في عهده، كما كان اهتمامه بالآداب دون العلوم الأخري ،وصور عهده عهد فتنة ابن عرفة.[18]

5/الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (261-281ه/874-894م):

كان الإمام أبو اليقظان شغوفا بإلقاء الدروس إذ تتلمذ علي يده العديد من الطلبة من بينهم إبن الصغير الذي يذكر عن نفسه ذلك حيث يقول : «وقد لحقت أنا بعض أيامه وحضرت مجلسه.»[19]، شهدت فترة إمامته ضعف الدولة الرستمية وقلة علمائها وهذا ما دلت عليه الإستغاثة التي وجهها الإمام لرعيته يدعوهم فيها إلي أن يبذلوا جهودهم في طلب العلم .

عبر اهتمام الأئمة الرستميين بالعلم وطلبهم له وتشجيهم للحركة العلمية في المغرب الأوسط علي أزهي فترات هذه الدولة ، إذ عرفت وجود العديد من المؤسسات التعليمية التي اعتنت بهذا الجانب ودعمت الحراك العلمي ، ولنا أن نبين في هذا الجانب أهم المؤسسات التعليمية في تيهرت الرستمية .

المؤسسات التعليمية :

1/المساجد:

إن حرص الرستميين في الحفاظ علي العقيدة الإسلامية كان داعيا لإهتمامهم ببناء مكان تقام فيه العبادات ،فكان ثاني مبني أقامه المؤسس عبد الرحمن بن رستم بعد تيهلات هو المسجد ، إذ كان المؤسسة الأولي لتعليم مبادئ الدين الحنيف فلم يقتصر دوره علي العبادة فقط إذ اعتبر مؤسسة علمية أيضا ، تقام فيها شعائر الصلاة والاستماع إلي كبار مشائخ الإباضية والقيام بأمر الوعظ والإرشاد[20].

عمرت تيهرت بالمساجد فلا يوجد قرية أو مدينة ليس بها مسجد، إذ يقام في جميعها الصلاة زيادة علي الدروس العامة التي تتم بين أوقات الصلاة كما اعتبر المسجد البيئة التي تثبت وتصقل معلومات كل فرد إذ يثقف عقله ويصفي نفسه ويساير الزمن[21].

18 -ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، تح: محمد ناصر و إبراهيم بحاز ، ص ص62-63.
19 -نفسه ، ص11.
20 -حجازي عبد الرحمن عثمان : تطور الفكر التربوي والإباضي في الشمال الإفريقي (من القرن الأول حتي القرن العاشر)(95-928ه/713-1520م)، المكتبة العصرية ، لبنان ، 2000 ، ص133.
21 -محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص405.

مثل المسجد الجامع بتيهرت الذي ابتناه عبد الرحمان بن رستم عندما شرع في بناء مدينة تيهرت معهدا للدراسات الإباضية من فقه وتفسير وكلام وحديث، فهو أهم مركز لتعليم وتلقين الفقه الإباضي إذ يعقد فيه الأئمة حلقاتهم الدراسية وينشرون مواعظهم علي الرعية وكانت تعقد فيه الاجتماعات العمومية لأخذ رأي الأمة في الشؤون التي تهمهم[22].

لم يقتصر التعليم في المسجد علي فئة الرجال فقط بل شمل النساء أيضا وسنتطرق إلي تفصيل هذا في العالمات الإباضيات فيما بعد، كما خصص في المساجد قسم خاص بالنساء يفصلهم عن الرجال بواسطة جدار يستر النساء ولا يحجب عنهم صوت المدرس وتلاوة الإمام[23]، كما عرفت من بين النساء الإباضيات العالمة والشاعرة والمستفسرة عن شؤون دينها، وقد تم التعليم في المسجد في العهد الرستمي علي مرحلتين ، الأولي مرحلة الكتاب والثانية مرحلة الحلقات(المجالس العلمية).

أ- الكتاتيب:

يعني الكتاب المكان الذي يحفظ فيه الصبيان القرآن الكريم ويتعلمون فيه الكتابة ، وعرف أيضا باسم دور القرآن إذ كان أطفال الإباضية يتلقون فيه تعليمهم ، وهي مخصصة للأطفال بين السادسة والحادية عشر أو الثاني عشر من العمر ، إذ يتلقي فيها الصبيان دروسا كالقراءة والكتابة والحساب وبعض الشعر إلي جانب تحفيظ القرآن ويتعلمون فيها الوضوء والصلاة والصيام والواجبات الدينية ويشرف علي كل هذا معلمون من أتباع المذهب الإباضي[24]، كما عرف الكتاب بأنه مقر بسيط مفروش بالحصير يتربع فوقه التلاميذ ويعلوهم المعلم بالمسطبة يحمل في يده قضيبا، إذ يستخدمها المعلم في تخويف او ضرب كل من تهاون في حفظ لوحه من القرآن ، ويتم حفظ القرآن بواسطة اللوح وهو مصنوع من الخشب بالماء ويكون أغلب الحال في الفترة الصباحية[25]

لم يقتصر دور الكتاتيب في تحفيظ القرآن فحسب بل تعداه إلي تدريس الفقه والحديث والنحو وغيرها وذلك من أجل تهيأة التلميذ للتبحر في مختلف العلوم فيما يعرف بحلقات العلم أو المجالس العلمية[26]،إن معرفة التلميذ في المرحلة الأولي لا تتعدي حفظ القرآن وبعض الأحاديث عن طريق التلقين والتكرار دون الكتابة ، ذلك أنه في هذه المرحلة لا يكون قد استوعب الحروف الهجائية وليس بإمكانه القراءة والكتابة، وبعد تعلم الكتابة وحفظ القرآن وقدر من الأحاديث النبوية يكون التلميذ حينها بلغ سنا معينا إذ يسمح له خلالها من الجلوس في حلقات الدرس التي تعقد بالمساجد أو في دور العلماء أو المكتبات وفي هذه المرحلة يتلقي الطالب مختلف العلوم فيتوغل في الفقه ويتقن العربية ونحوها، ويفهم كل ما حفظه في المرحلة السابقة حفظا دون استيعاب، وتعتبر هذه المرحلة عليا مقارنة بسابقتها الابتدائية، ويمكننا أن نستشف من نص أبي زكرياء حول عبد الله الشكاس هذا الأمر إذ يقول: «فقرأ أو حفظ فلما اشتد وبلغ الحلم سولت له نفسه طلب

22 -ابن الصغير : المصدر السابق ، ص ص28-29.
23 -محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص407.
24 -عبد الرحمن عثمان حجازي : المرجع السابق ، ص ص132-133.
25 -بحاز : المرجع السابق ، ص277.
26 -ابن الذيب : المرجع السابق ، ص44.

العلوم.»[27]، وهذا ما يذكره أ- إبراهيم بحاز من أن هناك مراحل في التعليم لدي الإباضية، فالمرحلة الأولي وهي الابتدائية وتنتهي ببلوغ التلميذ الحلم، والمرحلة الثانية وهي الثانوية وهي التي تتم في حلقات العلماء بالمساجد[28]

ب-الحلقات (المجالس العلمية):

يعود الفضل في انعقاد الحلقات إلي حملة العلم الخمسة الذين نقلوا معهم إلي جانب العلم تنظيمات مدرسة البصرة إلي المغرب، وتعد المجالس العلمية أهم دور للتعليم إذ تفتح مجالا أمام التلميذ للاستزادة والتخصص في إحدى فنون العلم ، كما أن الجلسات تعقد عادة بين الصلوات أو بعد صلاة الصبح وقد ضمت الحلقات مختلف الفرق والمذاهب حتي عرفت الحياة العلمية بتيهرت بالمناظرات الفقهية والكلامية ، ومن شدة حرص العلماء على العطاء فقد كان تلقين الدروس حتي في المنازل[29]، بالرغم من أن الكتاتيب منتشرة في الدولة الرستمية إلا أنها لم تكن لوحدها تقوم بالدور العلمي مع وجود الجوامع والمساجد بل حتي المنازل مما جعلها مركزا هاما لتلقي العلوم العقلية والنقلية ونشر الحضارة العربية الإسلامية في بلاد المغرب[30]

2/المكتبات:

اعتبرت المكتبة المكان الحافظ للكتاب وقد وجدت في الدولة الرستمية مكتبة ضخمة حيث اهتم الأئمة الرستميين بشراء الكتب واسترادها من مختلف الجهات، إذ شكلت الكتب التي جلبها الأئمة الرستميين من المشرق المكون الأول للمكتبة الرستمية، كما بلغ اعتنائهم بالعلم أنهم استوردوا كتبا قيمة من الشرق إذ أصبحت هذه المكتبة العظيمة لا تضاهيها إلا مكتبة بغداد[31]، وفي هذا الصدد يورد أبو زكرياء بأن أهل المشرق بعثوا لعبد الوهاب أربعين حملا من الكتب[32]، أما الدرجيني فيذكر أنها ديوان عظيم[33]، والشماخي يورد بأن «الإمام عبد الوهاب أتته خزانة كتب»[34]، وقد احتوت المكتبة الرستمية كتبا في جميع المجالات من علوم شرعية(تفسير، حديث ، فقه ، توحيد....) وكتب في الطب وأخري في الرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم ، كما اعتبرت المكتبة الوحيدة علي مستوي المغرب الأوسط والأدني إذ جمعت بين مختلف المذاهب الإسلامية[35]، إضافة إلي وجود مكتبات خاصة في منازل العلماء.

لقد شكلت هذه الخزانة النواة الأولي لمكتبة تيهرت والتي تحدثت عنها المصادر الإباضية عن أنها صومعة مملوءة كتبا في مختلف الفنون والمعارف وعرفت هذه المكتبة فيما بعد بمكتبة

27 - أبو زكرياء : المصدر السابق ، ص 203.
28 -إبراهيم بحاز: المرجع السابق ، ص281.
29 -ابن الذيب : المرجع السابق ، ص45.
30 -الشماخي : المصدر السابق ، ص190.
31 - سالم السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، 2008، ص490.
32 أبو زكرياء : المصدر السابق ، ص100.
33 -الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص56-57.
34 -الشماخي : المصدر السابق ، ج1 ، ص190.
35 -إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص ص288-290.

المعصومة[36]، إذ كانت ملجأ لطلاب العلم ومؤسسة إضافية إلي جانب المسجد والكتاب والمجالس العلمية والمنازل، وقد ذكر بأن أغلب كتب مكتبة المعصومة كان من نتاج علماء الدولة الرستمية، فلولا حادث استيلاء أبي عبد الله الشيعي (ت289ه/911م)الذي هجم علي مدينة تيهرت ونهبها وأمر بإحراق مكتبة المعصومة ليقضي بذلك علي الفكر الإباضي المكتوب بعد أن أخذ منها أمهات الكتب وبذلك فقدت أغلب الأصول المذهبية للإباضية.[37]

الإنتاج الفكري عند الرستميين:

1/العلوم النقلية:

أ- التفسير:

باعتبار القرآن المصدر الرئيسي للتشريع واستخلاص الأحكام عند كافة المسلمين فإن شرح وتوضيح معانيه وألفاظه أمرا أساسيا لفهم الدين، ثم إن اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول أقوام أعجمية في الإسلام هي عوامل أخري تطلبت تفسير القرآن الكريم ، ففي المغرب الإسلامي الذي شهد تأسيس دول مستقله منها الدولة الرستمية إذ اهتم الأئمة الرستميين بهذا الجانب من أجل تيسير وتسهيل ما جاء في القرآن الكريم[38] إذ عكف علماء تيهرت على شرح ألفاظ القرآن وتفسير معانيه ولا يستبعد أن يكونوا قد استخدموا طريقة الشرح اللفظي في التفسير من العربية إلي البربرية شفويا حتي يفهم معظم المغاربة وعلى ما يبدوا فإن حلقات الوعظ والتدريس ومجالسها لا تخلو من شرح ألفاظ القرآن الكريم وتفسير آياته خاصة المتعلقة منها بالممارسات اليومية كالصلاة والصيام ، الزكاة والحج وغيرها[39].

تذكر المصادر والمراجع الإباضية أن عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة ألف كتابا في التفسير[40]، إلا أنه فقد ولم يصلنا منه شيء وقد نبغ في هذا العلم عدد من العلماء نذكر منهم: هود بن محكم الهواري الأوراسى كان أبوه محكم الهواري قاضي تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب(208-258ه/823-871 م) ، حيث تلقي تعليمه بتيهرت وكان يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال، وهو أشهر مفسر عرفته الدولة الرستمية وتناولته المصادر والمراجع الإباضية[41]. أيضا محمد بن يانس الدركلي النفوسي المعروف بابن أبي المنيب و لواب بن سلام التوزري المزاتي والإثنان من جبل نفوسه[42]

ب-الحديث:

لم يولي الرستميين اهتماما كبيرا بعلم الحديث ، إذ لا تذكر المصادر التي توفرت لدينا عناية الإباضية في المغرب العربي بالحديث وتدوينه أو رجاله ودرجات الثقة فيهم ولا تتوفر مؤلفات

36 -انفسه ، ص289.
37 - موسي لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلي منتصف القرن 5ه/11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص345.
38 -محمد عليلي :الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3ه/8-9م، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة أبي بكر بلقايد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، 2008/2007، ص ص81-82.
39 -إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص289.
40 -محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريون عبر التاريخ ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، ص34-36.
41 -نفسه ، ص ص40-41
42 -محمد عليلي : المرجع السابق ، ص 82.

إباضية مغربية في الحديث ولا بد أن هذه الظاهرة ترجع في بعض أسبابها إلي تخصص المشرق بالدرجة الأولي بالحديث وعلومه وفي هذه الفترة بالذات لذلك نجد إباضية المشرق، قد ألفوا في هذا الجانب[43]، وبالنسبة لإباضية المغرب فإننا نجد السلسلة التي ذكرها بحاز عن الشماخى وهي تحت عنوان «هذه نسبة دين المسلمين-الإباضية- واحد عن واحد ثقة عن ثقة من زمننا إلي نبينا محمد عليه السلام.» إذ تلقي الضوء على العلماء الذين اهتموا بالحديث وروايته كما اهتموا بالفقه الإباضى[44]، كما تشير المصادر أيضا إلي أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258ه) الذي له روايات في الحديث[45].

لقد ذكر الشماخى في سيره بعض أسماء رواة الحديث منهم محمد بن يانس المعروف بأبي المنيب، وتذكر المصادر رواة الحديث من غير الإباضية منهم أبا عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن إسماعيل (ت:296ه/909م) وهو سني مالكي المذهب[46] ، وقاسم بن إصبع وأبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي وقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهرتى التميمي و أبو سعيد بحيج بن خداش توزري ويظهر أن معظم هؤلاء المحدثين كانوا قد رحلوا إلي القيروان لتلقي العلم عن شيوخها[47]ويذكر أحمد أمين حول العلماء من غير الإباضية الذين اعتنوا بعلم الحديث وروايته قوله: « قد أخرجت تيهرت كثيرا من حفاظ الحديث وثقات المحدثين» أيضا قوله: « قد اشتهر بلاد المغرب بالعناية بالحديث والفقه»[48].

ج-الفقه:

يعرف ابن خلدون علم الفقه في مقدمته بقوله: «هو معرفة أحكام الله تعالي في أفعال المكلفين.... وهي متلقاه من الكتاب ومن نصبه الشرع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه»[49]

إن الحديث عن الفقه في الدولة الرستمية يسوقنا إلي الحديث عن واضعي أسس هذا العلم في الدولة الرستمية بشكل خاص وفي المغرب الإسلامي بشكل عام وهم حملة العلم الخمسة ومن جاؤوا بعدهم ممن استخلفهم عبد الرحمن بن رستم إذ قاموا بجهود كبيرة لترسيخ المذهب الإباضى وإيجاد إطار سياسي يحميه ويضمن استمراريته وهو الدولة الرستمية.

أدت حرية الفكر وإفساح المجال أمام المذاهب الأخرى غير الإباضية إلي تنافس الفقهاء علي اختلاف مذاهبهم ، إذ أفضى ذلك إلي غزارة التأليف فكثرت بذلك المدونات الفقهية [50]، ويذكر ابن الصغير في هذا الصدد قائلا :» ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيين والمدنيين- أي

43 -إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص304.
44 -نفسه ، ص305.
45 -محمد عليلي : المرجع السابق ، ص91.
46 -ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج.س. كولان ، إ ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، لبنان ، ط3 ، 1983 ، ص 103.
47 -محمد عليلي : المرجع السابق ، ص ص91-92.
48 -أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ط5 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1969 ، ج1 ،ص ص296-297.
49 -بحاز : المرجع السابق ، ص310.
50 -محمد عليلي : المرجع نفسه ، ص83.

المالكية – لم يطلب بعضهم بعضا ، ولا يسعي بعضهم ببعض...إلا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها ، وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيها صاحبتها...»[51]

لقد برز العديد من الفقهاء و القضاة والمفتين من الرستميين وغيرهم ، وازداد علم الفقه حيوية ونشاط فأصبح محل تنافس و مناظرات بين المذاهب المختلفة ، وهذا ما فتح المجال أمام الإباضية في تيهرت للاجتهاد أكثر في كسب العلم وهذا ما يحولنا إلي ذكر الأئمة الرستمين ومجهوداتهم في ميدان الفقه[52]، لقد كان الأئمة الرستميين أنفسهم علماء وفقهاء حيث أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ألف كتابا سماه «مسائل نفوسه» يجيب فيه علي أسئلة النفوسيين والتي جاءت في حوالي 300 سؤال[53] ، ومن الفقهاء الرستميين الذين أدركنا أسمائهم أبو مسعود وأبو دانون كانا فقيهين علي مذاهب الكوفيين ، كما كان لهذين الفقيهين ضلع بارز في أحداث المناقشات التي وقعت بين الإمام أبي حاتم وعمه يعقوب بن أفلح [54] ، كما يورد ابن الصغير أسماء جملة من الفقهاء والخطباء بتيهرت إلا أنه اكتفي بذكر أسمائهم مثل عيسى ابن فرناس النفوسى وابن الصغير الهواري (ق:3ه/9م) ، وأبو الربيع سليمان وهو من وجوه الإباضية من هوارة جرت بينه وبين ابن الصغير مناظرة فقهية ، وابن أبي إدريس وأحمد التية (ق3ه/9م) وعثمان ابن صفار وأحمد وبن منصور و عبد العزيز ابن الأزرق (ق: 3ه/9م) الذي كان له فقه بارع وله رحلة نحو المشرق[55]

لقد كانت الحركة الدينية الفقهية في المغرب عامة ، حركة قوية نشيطة أكثر ما خدمت فقه الإمام مالك [56] من جهة ومن جهة أخري فقه الإباضية وإذا كنا لم نجد لأغلب العلماء الذين ترجمنا لهم تأليف فلعلها أحرقت أو أصابها البلاء أو التلف نتيجة إخفائها عن العيون ، وعدم إظهارها لغير الإباضية ولا بد أن الإباضية خاصة قد بدأوا في وضع تصانيفهم المذهبية ابتداءا من القرن 3ه/9م أو قبل ذلك بقليل ، حيث ذكرها ابن خلدون قائلا : « لقد ترامت إلينا.من هذا العهد من تلك البلاد (نفوسة) دواوين ومجلدات من كلامهم في فقه الدين وتمهيد عقائده وفروعه ضاربة بسهم في إجاد التأليف والترتيب.» ، كما عرف المغرب العربي في القرن 2ه/8م نهضة علمية وفقهية كانت بداية لنهضة شاملة سوف تتبلور في القرون التالية وترسم معالمها بصفة نهائية.[57]

2/ العلوم العقلية:

أ-الأدب:

ب/التاريخ:

3/ العلوم التطبيقية

51 -ابن الصغير : المصدر السابق ، ص117.
52 -بن الذيب : المرجع السابق ، ص50.
53 -بن الذيب : المرجع السابق ، ص50.
54 -نفسه ، ص92.
55 -نفسه ، ص ص81-102.
56 -أحمد أمين : المرجع السابق ، ج3 ، ص300.
57 - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص329.

قائمة المصادر والمراجع

خالد أحمد صالح : الإباضية تعاليمهم وانتشارهم في المغرب العربي ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ، العدد الأول ، 2011

عبد الحميد سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، المعارف للنشر، الإسكندرية ، ج2

يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر(الجزائر القديمة والوسيطة) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ج1 ، 2007

صالح فركوس : تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلي غاية الاستقلال ، دار العلوم للنشر والتوزيع ،

أحمد إلياس : الإباضية في المغرب العربي

المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

محمد عيسي الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160-296ه)، ط3 ، دار القلم ، الكويت ، 1987

أحمد بن سعيد عبد الواحد الشماخي : كتاب السير ، تح : أحمد بن سعود الشيباني ، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1992، ج1

بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية (160-296ه/777-909م) دراسات عن الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985

محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية ، ج3 ، 1963

ابن الذيب عيسي: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007

أبو زكرياء يحي بن أبي بكر : كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تح : إسماعيل العربي ، ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ، 2000

تاديوسليفيتسكي : المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، تح : ريما جرار وماهر جرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2000

حجازي عبد الرحمن عثمان : تطور الفكر التربوي والإباضي في الشمال الإفريقي (من القرن الأول حتي القرن العاشر)(95-928ه/713-1520م)، المكتبة العصرية ، لبنان ، 2000

عبد الرحمن عثمان حجازي : المرجع السابق

سالم السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، 2008

اموسي لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلي منتصف القرن 5ه/11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979

محمد عليلي :الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3ه/8-9م، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة أبي بكر بلقايد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، 2008/2007

محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريون عبر التاريخ ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، ص34-36.

ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج.س. كولان ، إ ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، لبنان ، ط3 ، 1983

أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ط5 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1969 ، ج1 ،ص ص296-297.

Kaynakça

ABDÛLAZİZ, Salim es-Seyyid, *Târîhû'l-mağrib fi'l-asri'l-islâmî*, Müessesetü şebâbi'l-Câmia: Kahire, 2008.

ALÎLÎ, Muhammed, *el-İş'â'u'l-fikrî fi ahdi'l-egâlibeti ve'r-rüstemiyyîn hilâle karneyn 2-3/8-9*, Basılmamış Yüksek Lisans Tezi: Ebubekir Belkayd Üniversitesi Edebiyat Fakültesi: Cezayir 2007-2008.

AYSÎ, İbnü'z-zib, *el-Hevâzîr ve'l-merâkîz's-sekâfiyye fi'l-cezâir hilâle'l-asri'l-vasit*, Cezayir, 2007.

BEKİR, İbrahim Bahhaz, "ed-Devletü'r-rüstemiyye" *(160-296/777-909), Dirâsât ani'l-evzâi'l-iktisâdiyyeti ve'l-hayâti'l-fikriyye*, Cezayir, 1985.

EBUBEKİR, Ebu Zekeriyya Yahya, *Kitâbu siyeri'l-eimmeti ve ahbârihim*, thk. İsmail el-Arabî, Cezayir: Dîvânü Matbûâti'l-Câmiiyye, 1984.

BUAZİZ, Yahya, *el-Mûcez fi târîhi'l-cezair (el-Cezairü'l-kadîme ve'l-hadise)*, Dîvânü'l-Matbûâti'l-Câmiiyye: Cezayir, 2007.

DEBBÛZ, Muhammed Ali, *Târîhü'l-mağribi'l-kebîr*, Dâru ihyâi'l-kütübi'l-arabiyye, 1963.

EMÎN, Ahmed, *Zahrü'l-islâm*, Dârü'l-kütübi'l-arabî: Lübnan, 1969.

el-FAKİ, İsamuddin Abdurrauf, *Târîhü'l-mağribi'l-islâmî ve'l-endelûs*, Mektebetü nahdati'ş-şark: Kahire, 2000.

FERKUS, Salih, *Târîhü'l-cezâir min ma kable't-târîh ilâ gâyeti'l-istiklâl*, Darü'l-ulûm li'n-neşr ve't-tevzi, t.y.

el-HARÎRÎ, Muhammed İsa, ed-Devletü'r-Rüstemiyye fi'l-Mağribi'l-İslami hadaratüha ve alakatüha'l-hariciyye bi'l-mağrib ve'l-Endelüs, Kuveyt: Darü'l-Kalem, 1987.

HİCÂZÎ, Abdurrahman Osman, *Tatavvuru'l-fikri'l-terbevî ve'l-ibâdî fi'ş-şimali'l-ifriki (Mine'l-karni'l-evvel hattâ karni'l-âşir) (95-928/713-520)*, el-Mektebetü'l-asriyye: Lübnan, 2000.

İLYAS, Ahmed, *el-İbâdiyye fi'l-mağribi'l-arabî*, y.y., t.y.

İSKENDER, Muhammed el-Muhtar, *el-Müfessirûne'l-cezâîriyyûn abre't-târîh*, Dahleb li'n-neşr: Cezayir, t.y.

LAKBAL, Amusi, *Devrun kettâmetün fi târîhi'l-hilâfeti'l-fâtimiyye mürzü te'sîsihâ ilâ muntasafi'l-karn 5/11*, Cezayir, 1979.

el-MAKDESÎ, *Ahsenü't-takâsîm fi ma'rifeti'l-ekâlîm*, y.y., t.y.

el-MARAKEŞÎ, ibn Azarî, *el-Beyânü'l-mağrib fi ahbâri'l-endelûs ve'l-mağrib*, thk. C.S. Colan, Levi Provencal, Dârü's-sekâfe: Lübnan, 1983

SÂLİH, Hâlid Ahmed, "el-İbâdiyye teâlîmihim ve intişârihim fi'l-mağribi'l-arabî", *Mecelletü câmiati'l-enbar li'l-ulûmi's-islâmiyye* s.1, 2011.

SLIVISTKY, Tadio, *el-Müerrihûne'l-ibâdiyyûn fi ifrîkiya eş-şimâliyye*, thk. Rîma Cerrâr ve Mâhir Cerrâr, Dârü'l-garbi'l-islami: Beyrut, 2000.

eş-ŞİMÂHÎ, Ahmed b. Said Abdülvahid, *Kitâbu's-siyer*, thk. Ahmed b. Suud eş-Şeybani, Ulusal miras ve Kültür Bakanlığı: Amman, 1992.

ZAGLÛL, Abdülhamid Sa'd, *Târîhu mağribi'l-arabî*, İskenderiye, t.y.